المقدمة

فى ٦٠٠ صفحة صدر كتاب بعنـــوان « المـائة : تقويم لأعظم الناس أثـراً فى التاريخ » المؤلف هو عالم فلـكى رياضى . يعمل فى هيئة الفضـاء الأمريكية . أما متعته الأولى فهى دراسة التاريخ .

وقد لاحظ أن من بين عشرات الألوف من ملايين الناس لم تذكر دوائر المعارف كلها سوى عشرين ألف شخص . كان لهم أثر فى بلادهم . وفى البلاد الأخرى . وفى التاريخ الإنسانى .

والمؤلف اسمه مايكل هارت .

وبعد أن فرغ من إصدار هذا الكتاب تلقى اقتراحات من العلمـاء والأدباء ورجال الدين بإضافة أسماء أخرى . ولكن المؤلف عنده مقاييس ثابتة لاختيار الشخصيات المـائة واستبعاد مئات غيرها . .

يقول : إنه حدث عندما كان الفيلسوف الفرنسى فولتير فى بريطـــانيا أن اشترك فى مناقشة موضوعها : من هو الأعظم : الإمبراطور الرومانى يوليوس قيصر أو القائد الإغريقى الإسكندر الأكبر أو القـائد المغولى تيمور لنك أو الزعيم البريطانى كروموبل ؟..

وكان الرد على هذا السؤال أن قال أحد المتناقشين : بل أعظم الجميع : العالم الرياضى البريطانى إسحاق نيوتن .

وكان رد فولتير : فعلا نيوتن أعظم . . لأنه يحكم عقولنا بالمنطق والصـدق ، وهؤلاء يستعبدون عقولنا بالعنف ، ولذلك فهو يستحق عظيم الاحترام . .

ولكن المؤلف أقام اختياره لشخصياته الخالدة على عدة أسس ، من بينها أن الشخصية يجب أن تكون حقيقية . فهناك شخصيات شهيرة وبعيدة الأثر ، ولا أحد يعرف إن كانت قد عاشت أو لم تعش . . مثل الحكيم الصينى لاوتسو . . لا أحد يعرف هل هو إنسان أو أسطورة . . والشاعر الإغريقى هوميروس . . لا أحد يعرف إن كان حقيقة

والشاعر الإغريقى أيسوب صاحب الأمثال والحكم . . هو أيضاً لا نعرف إن كان قد عاش حقاً .

ولذلك استبعد مثل هذه الأسماء . .

واستبعد أيضاً عدداً كبيراً من المجهولين . . مثل أول من اخترع النار ، وأول من اخترع العجلات ، وأول من اخترع الكتابة . لابد أن يكون شخصاً عبقرياً ، ولكننا لا نعرفه . . ولا نعرف أيضاً إن كان واحداً أو كثيرين .

كما أنه أقام أساس الاختيار على أن يكون الشخص عميق الأثر . سواء كان هـذا الأثر طيباً أو خبيثاً . ولذلك كان لابد أن يختار هتلر . . لأنه كان عبقرية شريرة .

ولابد أن يكون للشخص أثر عالمى . إذ لا يكفى أن يكون له أثر أقليمى . . ولذلك استبعد كل الزعامات السياسية والدينية ، والمواهب العلمية التى لها أثر « محلى » فقط .

واستبعد المؤلف كل الأشخاص الأحياء ، أياً كانت آثارهم البالغة . . فإن أحداً لا يعرف بعد ، كم تعيش آثارهم على بلادهم أو على الإنسانية . . فالمستقبل غيب . .

وفى نفس الوقت من الممكن أن يختار أناساً ما يزال لهم مستقبل عظيم . فمن المؤكد أن البشرية سوف تعتمد على الكهرباء خمسة قرون أخرى على الأقل ، ولذلك كان لا بد أن يضع فى هذه القائمة أثنين من العلماء هما فراداى وماكسويل .

ومن الممكن أن يتلازم إثنان من العلماء . أو من الفلاسفة دون تفريق بينهما . . مثل كارل ماركس وصديقه فريدريش أنجلز . فكلاهما له أثر عظيم على التاريخ الإنسانى .

وكذلك الأخوان رايت اللذان اخترعا الطائرة .

المهم هو أن يكون للشخصية أثر « شخصى » عميق متجدد على شعبها وعلى تاريخ الإنسانية . ولذلك فقد اختار محمداً ﷺ أول هذه القائمة . وعنده لذلك أسباب مقنعة .

* * *

ولا أدعى أنى أضفت شيئاً إلى هذا الكتاب . وإنما حذفت بعض العبارات وبعض المصطلحات العلمية الصعبة ، دون إخلال بما أراده المؤلف . .

فهذا كتاب « عن » كتاب، أو « من » كتاب لم أرفع عينى عنه . . وإن كنت لم التزم بحرفية كل ما جاء فيه . .

ثم إننى انتهزت فرصة نشر هذا الكتاب مسلسلا فى مجلة « أكتوبر » لإجراء مسابقة بين القراء على ما جاء فيه . وجعلت المكافأة : عشرات الكتب . أى أننا جعلنا الجزاء من جنس العمل . فالكتاب هو موضوع المسابقة ، والمكافأة هى مزيد من الكتب .

وليس هذا الكتاب إلا واحداً من عشرات الكتب التى صدرت أخيراً فى العالم الغربى المسيحى عن عظمة المسلمين والإسلام . .

صحيح أن المؤلف الأمريكى لم يقلب طويلا فى التاريخ الإسلامى أو الفكر العربى ، وإلا لوجد عطاء فى كل فروع المعرفة . ففضل العرب والمسلمين على الحضارة الغربية . معروف له ولغيره من العلماء الجادين المخلصين — ومن المؤكد أن الرجل مخلص وصادق فى حكمه على الكثيرين من عظماء التاريخ . .

وكان المؤلف يستحق الكثير من حفاوة الدول الإسلامية ، ولكنه لم يلق امتناناً من أحد .. فقط أن تقرأ له كتابه هذا وتشير إليه وتدعو الناس إلى قراءته والإعجاب به .

وذلك امتنان أخرس ، لأن صاحب الفضل لم يسمع به . وتلك عقوبة لا يستحقها المؤلفون الكبار ، ولكنهم قد اعتادوا على ذلك . . فأعمالهم متعة شخصية ، أما رأى الناس فهو شراء لهذه الأعمال دون أن يدرى بهم المؤلفون . .

وسوف تكون مفاجأة للمؤلف أن أبعث إليه بنسخة من هذا الكتاب . وبذلك تكون المفاجأة الثانية . . أما الأولى فهى عندما أرسلت له خطاباً أبدى إعجابى بعلمه وخلقه ، وأستأذنه فى نشر ما أستطيع من هذا الكتاب .

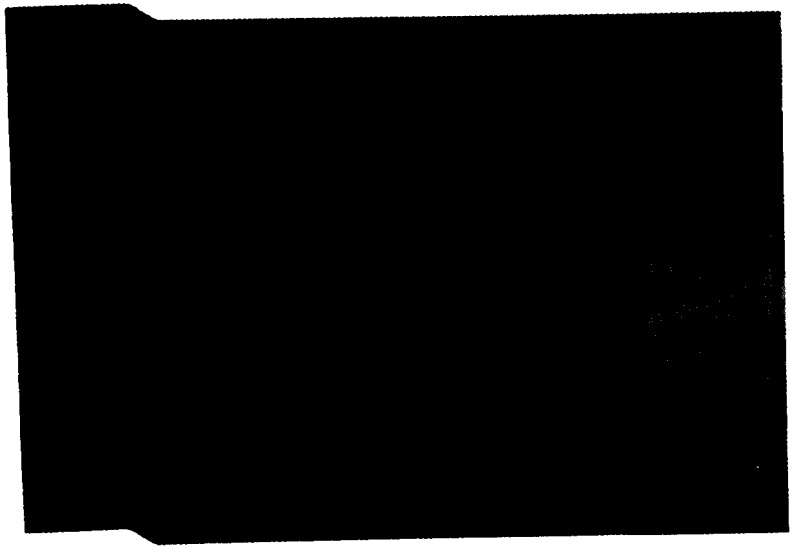

١ – محمد رسول الله ﷺ

(٥٧٠ – ٦٣٢ م)

لقد اخترت محمداً ﷺ فى أول هذه القائمة ، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار . ومعهم حق فى ذلك . ولكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الدينى والدنيوى .

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً . وبعد ١٣ قرناً من وفاته . فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً .

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا فى مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً . إلا محمداً ﷺ فهو قد ولد سنة ٥٧٠

ميلادية فى مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية فى منطقة متخلفة من العالم القديم . بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن .

وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود ، وأمه وهو فى السادسة من عمره . وكانت نشأته فى ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب .

ولم يتحسن وضعه المادى إلا فى الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج أرملة غنية .

ولما قارب الأربعين من عمره . كانت هناك أدلة كثيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس .

وكان أكثر العرب فى ذلك الوقت وثنيين . يعبدون الأصنام . وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى . . وكان محمد ﷺ على علم بهاتين الديانتين .

وفى الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيماناً بأن الله واحد أحد ، وأن وحياً ينزل عليه من السماء ، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس .

وأمضى محمد ﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس .

وفى ٦١٣ ميلادية أذن الله لمحمد ﷺ بأن يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد فتحول قليلون إلى الإسلام .

وفى ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة . وهى تقع على مدى ٢٠٠ كيلو متر من مكة المكرمة . وفى المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيداً من القوة . واكتسب رسوله عدداً كبيراً من الأنصار .

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول فى حياة الرسول ﷺ . وإذا كان الذين تبعوه فى مكة قليلين . فإن الذين ناصروه فى المدينة كانوا كثيرين .

وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة . وأصبح محمد ﷺ أقوى وأعمق أثراً فى قلوب الناس .

وفى السنوات التالية ، تزايد عدد المهاجرين والأنصار . واشتركوا فى معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار ، وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار .

وانتهت كل هذه المعارك فى سنة ٦٣٠ بدخول الرسول منتصراً إلى مكة .

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد ﷺ الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً . . ، ولما توفى الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم فى القتال ، وكانوا ممزقين أيضاً . رغم أنهم قليلو العدد ، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب فى الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة .

ولكن الرسول استطاع لأول مرة فى التاريخ ، أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعاً بالدعوة إلى الإله الواحد . ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالى شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربى واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية .

وكان العرب أقل بكثير جداً من كل هذه الدول التى غزوها وانتصروا عليها .

وفى ٦٤٢ انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية ، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية فى موقعة القادسية فى ٦٣٧ وفى موقعة نينوى فى ٦٤٢ .

وهذه الانتصارات الساحقة فى عهد الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب . لم تكن نهاية الزحف العربى والمد الإسلامى فى العالم .

• • •